مفهوم الشعر وعناصره عند الجواهري

Concept of poetry & its elements according to Al-Jawahiri

Syed Waqar Haider
PhD Scholar, department of Arabic, NUML Islamabad
izzathaider@gmail.com

Dr. Ghulam Ahmed
Assistant Professor, Department of Arabic
Government College University Fasislabad
drghulamahmad@gcuf.edu.pk

Abstract

The concept of poetry has remained a widely discussed topic by poets and critics of all ages according to their own perceptions. The history of poetry is as old as that of mankind .With the passage of time, poets continued experiments to develop new forms and styles. One of the widely adopted styles world over is liber. This study is about an Iraqi poet Mohammed Mahdi Al-Jawahiri of modern era. He continued to work on classical poetry in a period (as viewed in the light of literature) when his contemporary poets were busy with liber poetry.Al-Jawahiri continued with rhyme and rows to keep classical poetry not only live but also dynamic. Study also contains detailed review of Concept of poetry and its elements according to Al-Jawahiri.

Key Words: Conception of poetry, Liber poetry, Al-jawahiri, Classical poetry, Rhyme and Rows.

توطئة :

شغلَ مفهومُ الشعرِ اهتماماً واسعَ النطاق على امتداد المدوَّنة النقديّة العربيَّة والغربيّة، ولأنَّ الشعرَ لازمَ الإنسانَ منذُ فجرِ التاريخِ، وإلى يومنا الحاضرِ، فلذا يكونُ من الطبيعيِ جدًّا أن يتطوَّر مع تطورِ ملازمه، وتتَّسعَ مفاهيمه، ووظيفتُه مع اتّساعِ الحياة، وتشعُّبِ مشاكلها، وهذا ما شكّل زاداً معرفيًّا تناولَه المهتمونَ بتدوينِ الآداب .

ومن بين أبرزِ المشكلات التي تواجهُ النُقَّادَ، والشعراءَ في تحديد مفهوم الشعر هي تداخلُ المفهوم مع الغاية، والتوجُّه؛ وذلك لكون الشعرِ حالةً فوق التحديد المنطقي، فليس الشعر كياناً موضوعيّاً نقدرُ على تجريد صورة ذهنيَّة له، فيتجدَّدُ فيها المفهومُ وحدَه ما لم يتَّسعْ مجالُ الرؤية لأدراك أبعاد العمليَّة الشعريَّة بوصفها ممارسةً شعوريَّةً متداخلةَ المكوّنات[1].

ولعلَّ المطَّلعَ على الكمِ الهائلِ من المفاهيم التي أطلقها النُقّادُ على الشعرِ، كلٌّ بحسبِ فكره واتّجاهه الأدبيِ، يكتشفُ أنَّ أمامه عالماً متَّسعاً لا حدودَ له، ممّا يجعلُه يركن إلى المقولة: ((إنَّ مفاهيم الشعرِ بعدد الشعراء أنفسهم))[2]، ويأخذها كقضيَّة بديهيَّة لا يناقشُ فيها.

ومع أنَّ ((لكلَّ عصرٍ مفاهيم سابقةً، وافتراضات تخصُّ الشعرَ من مواضيع، ومواد ...أدَّى تداخلُ مفهومُ الشعرِ بغايته، والوظيفة التي يرادُ القيامُ بها إلى أن ينطلق من يقدّمُ مفهومه له من وعيٍ فكريٍ خاص))[3]، ولكنَّ الممارسة الإبداعية التي تمثل حصيلة وعي الشاعر بفنّه، تتجلّى عبر مساراتٍ فكريَّة، وأدبيَّة تميّزه عن الشعراء الآخرين.

ومن يستعرضُ مفهومَ الشعرِ عند شعراء الشطرين في الوطن العربي – ولاسيَّما في العراق بلد الشاعر الجواهري – يجدُ خلطاً من العبارات والمصطلحات التي لم تُمحَّص بدقَّة، تتوزَّعُ ما بين فنِ الشعرِ، وتحديد الوظيفة، وهذا يرجعُ إلى أنَّ الشعراء لم يتلقُّوا ثقافةً عميقةً، ولم يطَّلعوا على دراساتٍ متخصصةٍ في عملية الفنِ، والخلق الشعري[4].

وإذ أظهر مفهومُ الشعرِ لدى أصحاب شعر الشطرين، أسلوبَ كلٍ منهم ووعيه لتجربته، وما أقامهُ عليه من رؤية لا تقفُ عند حدود شخصيَّته، بل تسعى إلى تمثُّلِ تراثٍ ضخمٍ[5]، فقد أظهر هو الآخر عند جماعة الشعر الحر عن ((التنويع، والتغيير المثري لمواكبة حداثة العالم الغربي المتنوّعة في

العصر الحديث))[6]، ولم يشغلهم الشعور، والوزن، واللفظ، ومعناه، وهي ما حاولَ شعراء الشطرين وضع مفاهيم الشعر من خلالها بمقدار اتجاههم إلى استيعاب نصوصيَّة الحالة الشعريَّة التي تتوهَّجُ فيها أعماق الشاعر، متواصلةً مع العالم الخارجي التي هي جزء حيويٌّ منه[7].

وإذا أردنا أن نقيِّم ما قدّمه شعراء الشطرين بشأن التنظير لمفهوم الشعر، فنحن نتفق مع الدكتور (علي عباس علوان) الذي رأى أنَّهُم لم يتحرَّروا من إسار دلالته المضمونيّة، وغايته بوصفه ممارسةَ إبداعيَّةً خاصَّة[8]، وليس في ذلك من دالَّة على نقص في ثقافة هؤلاء الشعراء ووعيهم؛ لأنَّهم ليسوا الوحيدين ممَّن عجز عن تقديم مفهوم جامع مانع[9]– بحسب المناطقة– للشعر[10]، أو عن وظيفته، أو طبيعته، وإلى عصرنا الحاضر لم نجد – فيما اطلعنا عليه – شاعراً، أو ناقداً قدَّم مفهوماً للشعر إلا وبدا له فيما بعد أن يغيّر فيه تبعاً للتطور الذي يحصل في جميع مفاصل الحياة.

ولابد أن نشير إلى أنَّ اختيارنا شاعراً كالجواهري يجوس مفاهيم الشعر ونقده، لما حظي به من ((استثناء دائم عند جميع الشعراء مهما نأت بهم المسالك الشعرية))[11]، فكان بذلك أكثر الشعراء تأثيرا في من أتى بعده من شعراء كتبوا شعرهم السياسي والاجتماعي على طريقته[12]؛ ولعلَّ ما توافر في شعره من جمعٍ بين الوعي الفني والتاريخي وصل به إلى القمَّة[13]، هو الذي حدا بهم إلى الخروج عن ربقة القصيدة ذات الشطرين، إلى نمط آخر هو الشعر الحر المتحرر من إسار القافية الموحَّدة [14].

مفهوم الشعر وعناصره

تعدَّدت المصادرُ الثقافيَّةُ والأدبيَّةُ التي نهل منها الجواهري وتأثَّر بها، فمن مصادر كلاسيكيَّة تمثَّلتْ بالموروث الأدبي العربي والغربي، ومن مصادر حديثة آنذاك تمخَّض عنها الأدبُ الأوربي بمذاهبه، وتيَّاراته المجدّدة في مفاهيم الأدب السالفة، ورؤيتها في تناول قضايا الأدب وفنونه، ومنها مصادرُ الجواهري العَصريَّة، وهو ما وصل إلى العراق – بلد الشاعر– من شعراء جماعة الديوان، وجماعة المهجر[15]، وأبولو[16] ، ولم يكن هذا التأثيرُ ممَّا اختصَّ به الجواهري دون غيره من الشعراء، بل كان أكثرهم ممَّن يتابعُ ويقرأُ ما تكتبه أقلامُ هؤلاء المجدّدين، ويُحاول تقليدهم، ممَّا يظهرُ حالةَ الضيق بالموروث التقليدي في الأدب، وغيره من الفنون.

ولو تتبَّعنا رأيَ الجواهري عن الشعر في شعره، ونثره، لوجدنا فيه تأثُّراً واضحاً بآراء تلك المذاهب الأدبيَّة ومبادئها، وهذا الأمر يقودُنا إلى حقيقة مفادُها أنَّ الجواهريَّ لم يكوِّنْ مفهوماً واضحاً ومحدَّداً للشعر؛ وذلك بسبب اختلاف منطلقات كلِّ مذهبٍ في آرائه عن الآخر. وقد نجدُه بعد طول تجربته الشعريَّة يركِّزُ على أحد تلك المذاهب في تحديد مفهوم الشعر، وإن كانَ تأثُّرُه بها لاشعورياً، وهذا ما ينمُّ عن درايةٍ سطحيَّة في تناوله مفاهيم الأدب ونقده، وعدم اهتمامه بتقنينها، أو وضعِ حدود لها.

وعلى الرغم من أنَّ الجواهريَّ كان قد صرَّحَ مُجيباً عن سؤال وجَّههُ إليه الدكتور علي جواد الطاهر، وهو ((هل المفروضُ بالشاعر أن يكونَ له مفهوماً عن الشعر؟))[17]، بقوله: ((إنَّ الشاعر أغبى من يكونُ في تحديد الشعر))[18]، والسبب كما يراه يكمن في أنَّ الحالةَ الشعريَّةَ تسيطر على الشاعر، وتُشغلُه عن التفكير فيه مفهوماً مجرَّداً يركنُ إليه، فهو أبعدُ من يكونُ في تعريف حياته التي يعيشها[19]، نقولُ على الرغم من ذلك، كانت للجواهري رؤى عدَّةٌ بيَّنَ من خلالها مفهومه للشعر، ذلك التصوُّرُ المجرَّدُ الذي يتباينُ فيه شاعرٌ عن آخر في مقصوده منه، ويتَّضحُ منها أنَّه لم يكن بصدد وضعِ تعريفٍ جامعٍ مانعٍ، وإنَّما هي إلماعاتٌ يبثُّها هنا في شعره، وتارةً تأتي عرَضاً ضمن تفوُّهاته النقدية التي يبوح بها أثناء مساجلة نقديَّة بينه وبين أحد الأدباء أو النقاد، أو مع محاورٍ له في لقاء أعدَّه في مجلَّة، أو صحيفة.

وقد عرَّف الجواهري الشعر ضمناً أثناء مساجلته الأديب (أحمد حامد الصرَّاف)، بأنَّه ((المملوء شعوراً وإحساساً))[20]، وهو تعريفٌ على إيجازه يربطُ الشعر بالشعور والأحاسيس ربطاً قويَّاً، والذي توحيه كلمة (المملوء) للباحث أنَّها تعني الفيض الشعوري الذي يشحن ألفاظَ الشعر ممَّا يميِّزُها عن غيرها، وهذان المصطلحان – أي الشعور والإحساس– لا نجدُ عند الشاعر فيصلاً يميِّزُ بينهما ممَّا يُشكِّلُ في فهم المقصود بكلِّ واحد منهما عند المتلقِّي، ولكن ما يشفعُ له أنَّه ليس بصدد تعريف قضيَّة علميَّة حتى يؤاخذُ عليه مثلاً هكذا تعريف، وإذا كان الجواهري يرى أنَّ الشعر بهيئته اللفظية هو المعبِّرُ عن الشعور، فلا يُطالبُه بأكثر من ذلك، وهذا ما أشار إليه في بيتٍ له من قصيدة (يا شعب) إذ قال:

يا شعر نمّ على الشعور فكم وكم ... نمَّتْ على زُمر العواطف أحرفُ[21]

ومن النعوت التي أسبغها على شعره: (لسان العواطف)، وذلك في قوله من قصيدة (المجلس المفجوع):

ثق أنَّ أبياتي لسان عواطفي ... ثق أنَّ قلبي بينهنَّ مذاب[22]

أو وصفه إيَّاه بـ(معرض العواطف)[23]، أو تشبيهه له بالصفحة التي تُظهر للقارئ ما يُملى عليها من ترجمة لأحاسيس الشاعر وعواطفه[24]. ولما كان الشعر – بحسب رؤيته– تمظهرا لشعور الشاعر، فيكون من الطبيعي أن يرى انبثاقه ((عملاً عفويًّا خلقيًّا تتفجَّر به النفس بمجرَّد تهيؤ بواعثه))[25]، وهذا ما يكون أساساً أوليًّا لموهبة الشاعر، ومن ثم تأتي المؤهّلات المعرفية التي يتدارك بها فنَّه، فيكون بذلك عملاً قصديًّا يمثل كلَّ وعيه. وما ذكرناه من آراء للجواهري حول الشعر تؤكّدُ التزامَه عنصر الصدق في التعبير عن تجربة الشاعر، سواء أكان واقعاً حقًّا، أم كان صدقاً فنياً يتوسَّل به الشاعر إلى المتلقي لقدرته على تصوير التجربة الشعورية التي يعيشها[26]، فالصدق في وصف المشاعر أساس في بلورته لمفهوم الشعر، وعليه يطالب أن يكون الشعر مرآةً تعكس شعور قائله للآخرين، وذلك في قوله من قصيدة (شوقي وحافظ):

وأريدُ شعراً ليس في أبياته ... غير القلوب تبينُ للأحداق[27]

ولما كان الشاعر مهتماً بضرورة أن يكون الشعر منطلقاً من صدق الشاعر في تعبيره عن تجربته، فقد عدَّه أصدقَ الشعر، وذلك بقوله في قصيدة (الفداء والدم):

وأصدقُ الشعرِ ما هبَّتْ نسائمه ... من الضمير وما شبَّتْ لواهبه[28]

وعن انبعاثه من ذهن صاحبه، وتفجُّره عن معاناته للتجربة الصادقة، يعرِفُ الشعر على وفق هذا المعنى، بأداة الحصر (إلا) في قصيدته (إلى الرُّصافي):

وما الشعر إلا ما تفتَّق نوره ... عن الذهنِ مشبوباً، عن الفكرِ حائرا
عن النفس جاشت، فاستجاشت بفيضها ... عن القلبِ مرتجِ العواطف زاخرا
وما زجَّ في شتَّى المهاوي بربّه ... وقحَّمه النهجين قصداً وجائرا[29]

فمصدر الشعر هو الذهن والفكر والنفس والقلب، فما يبثُّه من تساؤلات باحثة عن أجوبة مقنعة، وعواطف معبّرة بصدق عمَّا يجيش في خاطره، لا يزجُّ به إلا لكثير من المضايقات التي يعرَّض

لها من قبل مجتمعه، وهذه هي نقطة الالتقاء العظمى بين (الفن)، و(الفكر)؛ لأنَّ التساؤلات التي يبثها الشاعر في شعره، تترك أفق البحث والمعرفة مفتوحاً، ولا تقدّم يقيناً. وهذا هو الفكر الذي يدفع إلى مزيد من الفكر[30]، فالأسئلة التي يحملها الشعر تحفّزُ المتلقي على الإجابة؛ لما يمتلكه من موسيقى تبقى عالقة في الأذهان ولاصقة بالذاكرة[31].

وتُعدُّ المعاني التي وقف الجواهريُّ عندها في تعريفه للشعر، تكريساً لمضمونه الدلالي، أو طبيعته، وهي بذلك لم تؤسّس صورة واضحة للشعر، وهذا يعود – بحسب رأيي – إلى أنَّه لا يريد أن يؤسسَ مفهوماً للشعر بقدر ما تحدوه الرغبة في الإسهام مع من سبقه، أو عاصره ممَّن أدلى برأيه في هذا المفهوم، فلذا تأتي آراؤه المبثوثة في شعره ونثره متقاربة في المعنى، أي أنَّها تدور في المحصّلة النهائيَّة حول العاطفة، ومرادفاتها التي يأتيها الشاعر في كلِّ مرَّة بصياغة جماليَّة تتناسب والظرف الذي يمرُّ به، أو المناسبة التي دعته أن ينظم القصيدة في أجوائها.

ولو تفحَّصنا فيما لهذه الآراء النقديَّة المبثوثة في منجز الجواهري من جذور لمذاهب الأدب أخذ الشاعر يستلهم منها، لوجدنا أنَّ للمذهب الرومانسي صدى واضحاً في ما ذكرناه آنفاً، فتعريف الشعر لديهم لم يخرج عمَّا قاله (وردزورث) من أنَّه ((فيض المشاعر القويَّة))[32].

وفي تأكيد الجواهري على الصدق الشعوري بصفته عنصراً مهمَّاً على ابتعاث الشعر، ما يُحيلُنا بصورة غير مباشرة إلى حديث (كولردج) عن وظيفة عنصر الصدق في الشعر؛ إذ يقول: ((إنَّ الحسَّ الصادقَ هو جسم العبقريَّة الشعريَّة...والعاطفة حياتُها...وتشكل الكلّ في كيان واحد أنيق مُدرك هو الشعر))[33].

ومن شعره الذي يكشف عن تأثّره بالمذهب الكلاسيكي الغربي الذي تأثر به جملةٌ من الشعراء العرب المحافظين، قولُه من قصيدة (يا دجلة الخير) محدّداً طبيعة الشعر:

يا دجلةَ الخير: إنَّ الشعرَ هدْهدةٌ ... للسمع ما بين ترخيم وتنوين

عفواً يُردّدُ في رفْه وفي عَلَلٍ ... لحن الحياة رخيَّاً غير ملحون

«مزمارُ داود» أقوى من نبوَّته ... فحوى، وأبلغ منها في المضامين[34]

وهذه الأبيات تعرض مفهوم المحاكاة، الذي شكل حجر الزاوية بالنسبة للمذهب الكلاسيكي، وكذلك فيها عرض لطبيعة الشعر، من أنَّه فيضٌ من المشاعر العفويَّة تأخذُ طريقها إلى المتلقي بوساطة اللغة، ولا مجال للافتعال واصطناع الظروف في تكوينه، وإلا جاء مشوَّه الخلقة، قصيَّاً عن التأثير في الآخرين. ومن المبادئ العامَّة لتنمية هذه الطبيعة غريزتا التقليد، واللحن والنَغم[35]؛ وذلك لأنَّ الشعر فنٌّ سمعيٌّ يحسن بإتقان سبكه بحيث تكون مخارج حروفه متناسقةً، غير مضطربة كاللحن الجميل[36].

ومن العناصر المهمَّة التي ذكرها الجواهريُّ في تعريفه الشعر هو (الخيال)؛ وقد عدَّه النُقَّادُ عنصراً لا غنى عنه في العمليَّة الشعريَّة؛ لما يقوم به من نقلٍ غير مباشرٍ للواقع المحسوس، فهو بهذا خلقٌ وإبداع[37].

وتجدر الإشارةُ إلى أنَّ الجواهريَّ أشار في أوائل سني تجربته الشعريَّة إلى الخيال، وإن كانت إشارةً عابرةً لا تعدو أن تصف الشعر بأنَّه حليةٌ لفظيةٌ تضفي على عواطف الشاعر التي يصوغها، صوراً قشيبة يزانُ بها شعره، وهذه الزينة اللغويَّة، لا تتشكل إلا من خلال الأساليب البيانيَّة والبديعيَّة، فلولاها لكانت اللُغةُ قاصرةً عن تأدية هذه الوظيفة – أي التصوير– وهذا ما نستشفُّه في قوله من قصيدة (النشيد الخالد):

وما الشعر إلا ما يزانَ به الهوى كما زيَّنتْ عطل النحور القلائدُ[38]

وفي قصيدة (النجوى) – وهي تنضمُّ إلى نفس المرحلة الزمنيَّة– يتابع الشاعر المعنى الشائع لمفهوم الخيال الذي تُسندُ الصورةُ إليه في الشعر، فقال:

وأنَّ من الشعر – وهو الخيالُ– عروشاً وأنتُم المالكونا[39]

وقد لا نجدُ عند الجواهري رؤيةً واضحةً عن الخيال تنمُّ عن إدراك تام لحيثيَّات المصطلح؛ وذلك لأنَّ الخيالَ يشتملُ على مُقدّمات يقينيَّة، وأخرى فاسدة لا وجود لها، فيُسمَّى في الحالة الأولى بـ(التخييل) الذي يقومُ بالربط بين الأشياء والحقائق، فيما يُسمَّى في الحالة الثانية بـ(الوهم)، أو التوهُّم الذي يقوم على إظهار صلات زائفة بين الأشياء[40].

وإذا كان مصطلح الخيال يشمل النوعين، فلا بدَّ للجواهري من تحديد ما يقصدُه من معنى، وهذا ما نجده عندما يأخذُ بالمعنى الأوَّل للخيال – وهو التخييل– وذلك بربط الشعر بالصدق

الشعوري، نافياً عنه الوهمَ المجرَّد الذي لا يمتُّ لشعور صاحبه بأي صلة، وإلى هذا المعنى أشار في قصيدة (حافظ إبراهيم):

وما الشعورُ خيالُ المرء ينظمُه ... لكنَّه قطعات من سجاياه[41]

وعلى أساس ذلك يكونُ الخيالُ عاملاً مُساعداً للوظيفة الإخباريَّة لا الشعريَّة، وبحسبها تكونُ وظيفته – أي الخيال– ((تفسير الحقيقة، والحقيقة هي حقيقة النَفس، ومَشاعرها وأحَاسيسها))[42].

وفي قصيدة (يوم الشهيد) أوضح الشاعر ما يعنيه بالخيال مفرقاً بينه والوهم الذي يقودُ صاحبَهُ إلى السراب الخادع، ومن ثمَّ البعد عن الشعور الذي يجيشُ في وجدانه بتزويق لفظيٍ لا يمتُّ إلى الحقيقة بصلة، فيقول :

يوم الشهيد وما الخيالُ بسادر ... بئس الخيالُ تقوده الأوهام

الشعر يا يومَ الشهيد تجاربٌ ... وبلاؤُها، لا لؤلؤٌ ونظامُ

كَذباً يُخيَّلُ أنَّ بارقة المنى ... تنجاب منها وحشةٌ وظَلام[43]

فالشعر الذي يستندُ على إدراك واعٍ للتجربة التي يمرُّ بها الشاعر هو الشعرُ الحقُّ المعبّرُ عن صاحبه؛ لأنَّ التجربةَ – بحسب (كولريدج) – ((تنبع من الإدراك إلا أنَّ الخيالَ الموحَّدَ يَكونُ... أداةً مُساعدةً لإدراك يمتلكُ رؤيةً أكبر))[44]، وهذا المعنى هو ما تتيحه لنا أبيات الجواهري من فهم.

وكذلك أشار إلى عنصر الخيال بما يتَّفقُ والتجربة التي يمرُّ بها الشاعر مبيناً ماله من أهميَّة في تصوير الحالة الشعوريَّة على ما هي، وذلك لارتباط الخيال بالألم الذي يصدر عن التجربة الحقيقيَّة عند الشاعر، وذلك في قصيدة (خلَّفت غاشية القنوع)؛ إذ قال في بيت منها :

هاتيك أبياتي يصوغُ خيالُها ... دون العناصر عنصرُ الأرزاء[45]

وقد أشار الجواهري إلى عنايته بجزئيات تركيب الصورة، شأنه شأن كلِ شاعر عظيم، يحرص على نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرَّائه وسامعيه[46]، بقوله: ((عندما أدخل في أي موضوع تجيش نفسي جيشاناً فضيعاً متراكماً متشابكاً، فأنا أمين في خلع هذا التشابك في كل قصيدة دون تخطيط أو تصميم..فلا أحب أن تهرب مني ولا أريد أن يبقى منها شيء..إني لا أنتقل من صورة إلى أخرى قبل أن أنتهي من الأولى))[47].

وأما سائر العناصر التي تؤلّفُ مفهوم الشعر من حيث الشكل، فقد نالت أهميةً عند الجواهري لا تقلُّ عن مكونات المحتوى الشعري، ومن أهم عناصر الشكل الشعري، الوزن والقافية، وإذا أردنا أن نبحث في شعره عن إشارة صريحة لمصطلح (الوزن)، فلا نعثر إلا على بيت واحد، ذكر فيه (الوزن) بوضوح، وهو قوله من قصيدة (في السجن):

أوزانُ شعرك بعضَ أو ... زان حوتها باتّزان[48]

ومن إشاراته الضمنية التي نزعم أنها تخصُّ الوزن والقافية، قولُه في قصيدة (إلى وفود المشرقيين تحيَّة)، لافتا إلى طبيعة الوزن والقافية النغَميَّة، وعلاقتها بالشعور:

..به من نسمة الإصباح عطرٌ ... ومن سَحَرٍ، ومن شَفَقٍ خضابُ
على السجعِ الرتيب ترفُ دُنيا ... مسجَّعةٌ أغانيها رتابُ
وبين فواصلٍ منه جراحٌ ... وآفاقٌ، وأَطماح رغاب[49]

فـ(السجع الرتيب) – بحسب ما نفهمه والسياق الشعري الذي يسمح لنا بهذا التقويل– إشارةٌ قصد بها إلى خصيصة (الرتابة) التي يشترك فيها الوزن والسجع؛ لأنَّ (السجع) –كما عرَّفه الدكتور (ماهر مهدي هلال)– لا يخلو من أن يكون ((صورة نغمية يراد بها جعل الكلام بصيغة متوافقة))[50]، وهذا التوافق، أو (الرتابة) – بحسب تسمية الجواهري– لا تكون إلا لخاصيَّة (الإيقاع) الموسيقيَّة التي ينضبطُ الشعرُ على وفقها، وهو ((توظيفٌ خاصٌّ للمادَّة الصوتيَّة في الكلام يظهرُ في تردُّد وحدات صوتيَّة في السياق على مسافات متقايسة بالتساوي، أو بالتناسب لإحداث الانسجام))[51]، فالتكرار الرتيب الذي تحدثه الأوزان من أهم سمات الإيقاع، لأنَّه يعتمد الوزن الذي يعدُّ أهم عنصر في تشكيل الإيقاع المتكرر لتوليد (التوقّع)، والـ(فواصل) قصد بها القوافي التي تفصل بيتا عن آخر في القصيدة.

والجواهريُّ إذ يُولي أهميَّةً للوزن، فلأنَّه يفصحُ عن أصالة الشاعر في نظمه للشعر؛ ولذا عدَّ وجوده في الشعر ((ليس من اختراع الشعراء، إنَّه على الأصح ملتقطٌ من الطبيعة))[52]، وحجَّته في ذلك الاستنتاج بأنَّه ((إذا خطر على بال واحد أن يخونَ الطبيعة ويقضم من بيت الشعر مقطعاً ولو من حرفٍ، شعر للتوِ بنشازٍ صدم أُذُنَه))[53].

وكذلك لا يغفل عن دور القافية في تكوين مفهوم الشعر، فهي والوزن تشكّلان القيد الذي بوساطته يتميَّز الشعر عن النثر[54]، وقد أولاها أهميَّةً ربما كانت أكثر من الوزن، بأمارة أنَّه ذكرها كثيرا في شعره[55]، فضلاً عن التزامه التطبيقي لها في منجزه الشعري، حتى أنَّ ظاهرة (التصريع) عدَّت ملمحا أسلوبياً طاغيا فيه، وقد نذهب إلى أنَّ اهتمامه بالقافية، مثَّل تحدّياً لمن يرى أنَّها والوزن، تقف عقبةً أمام الشاعر المبدع[56]، وهو بهذا لا يرى وجاهة أي سبب يتذرَّع به الشعراء الجدد في إسقاط أحدهما، أو كليهما معاً في نظم الشعر؛ لأنَّ التجديد في الشعر بحسب رأيه ((يجب أن يكونَ مُقيَّداً بكلِّ قيود الفنِّ من وزن وقافية وأسلوب موسيقي وجمال في الأداء، فالمشيُ أسهلُ من الرقص، ولكن الرقص هوَ الفنُّ مع أنَّه مشي))[57]، وبما أنَّ الوزنَ والقافيةَ شكلا حضوراً مهيمناً في منجزه الشعري، كان ملتفتاً إلى دورهما في إضفاء ((رنَّة الشعر الموسيقيَّة التي تنزلُ بها القافية على أعماق القلب بلا إذن))[58].

ويُحدّدُ الجواهري المعيارَ القيمي للشعر العربي والعالمي، الذي بوجوده ((يبقى [أي الشعر] على أفواه الأجيال تتمثل به، وللاستشهاد، والذي يحفظه ويديمه على الأفواه هو الرنَّة الموسيقيَّة في القافية والبحر والوزن، وفي كون الكلمة جنب أختها، وفي كون القافية لا تتزحزح من مكانها))[59]، وما أشار إليه بشأن القافية، يؤكّد اهتمامه بالفكرة التي ينبني عليها النص الشعري، إلى جانب المضمون، فليس الشعر تجميعاً لقوافٍ معينة على وزن معيَّن، وإنَّما هو تواشجٌ بين الاثنين معاً، وعليه لا يمكن التضحية بأي من العناصر التي تكونُ الشكلَ أو ترفد المضمون، فضرورة توافرهما في الشعر الجيّد، هو الذي يكفلُ نجاح تأثيره في المتلقّي، و بهذا الصدد يقول: ((أنا لا أفهمُ شعراً يُحاولُ أن يبلُغَ المستوى الثوري، وهو مهلهل الأسلوب، ضحل التجربة، غير قادر على الدفع والإقناع، ولا الإثارة بطبيعة الحال))[60]. وحين تكتمل عناصر الشعر الجيّد، وتتواشج فيما بينها مكونةً ذلك المعمار الجمالي، لا يعدُّه بعد ذلك إلا من أجلِّ مخلوقات الله؛ لما يتركُه من تأثير في الآخرين، كما يتركُ الغيثُ، أو الشمس آثارهما في الطبيعة، وذلك بقوله في قصيدة (حافظ وشوقي):

وأجلُّ ما خلق الإلهُ لخلقه ... وحسابُ فضلِ الله غيرُ مُطاق○

الشعرُ في تأثيره، والغيثُ في ... آثاره، والشمس في الإشراق○[61]

ونحن إذ استقصينا مفهوم الشعر وعناصره عند الجواهري نؤثر أن يكون استشهادنا بهذين البيتين مسكَ الختامِ لهذا المبحث، لعلَّنا وفّقنا في تقديم صورةً واضحةً ألَمَّتْ بأبعادِ فكرِ الجواهري النقدي بخصوص مفهوم الشعر وعناصره.

الهوامش

(1) ظ: الشاعر العراقي الحديث ناقدا، علي حدَّاد حسين، (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990م: 45 .

As-shair Al Iraqi Al hadith Naqedan,Ali Hadaad Hussain (PhD thesis),Kuliyaat-ul-Adaab,University of Baghdad,199,p 45

(2) في نقد الشعر، د.محمود الربيعي، دار المعارف، مصر، ط4، 1977م: 8

Fi .

Naqdi sheir, Dr. Mahmoud Ar-Rabie, Dar Al-Marif, Misar,1977,Vol 4,:p 8

(3) م.ن: 33 .

Ibid:33

(4) ظ: تطوُّر الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج، د.علي عباس علوان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة الكتب الحديثة (91)، 1975م: 102 .

Tatawar-u-shier Al arabi fil Iraq Itajahaat-u-Ruyaa wa Jamaliyaat-u-Naseej,Ali Abbas Alwaan, Munshuraat wazart-u-saqafah wal Eylaam,Iraq,1975,p 102

(5)ظ: الشاعر العراقي الحديث ناقدا(أطروحة دكتوراه): 80 .

As-shair Al Iraqi Alhadith Naqedan (PhD thesis)p 80

(6) مفاهيم حداثة الشعر العربي الحديث، سامر فاضل الأسدي، (رسالة ماجستير)، كلية التربية، جامعة بابل، 2005م: 250 .

Mafaheem-u- Hadasat-u-Sheir Al arbi Al hadith, Samir Fazel Al-Asadi, (Master's Thesis),Kuliyat-u-Tarbiyyaa,University of Babylon,2005, p 250

(7) ظ: الثورة لا تخمد أبداً والحب لا يموت، عبد الوهاب البياتي، م شعر، ع 37، 1968م: 71 .

As-Suratu la Tkhmada Abadan wal Hub la Yamoot, Abdul Wahab Al-Bayati,1968,p 71

([8]) ظ: تطوُّر الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج: 102.
Tatawar-u-shier Al arabi fil Iraq Itajahaat-u-Ruyaa wa Jamaliyaat-u-Naseej,p 102

([9]) ظ: المنطق، محمد رضا المظفر ، انتشارات اسماعيليان، قم، ط12، 2005م:1/ 65 .
Almantaq, Muhammad Raza Al-Mudhaffar,Ismailian,Qum,2005,Vol 12,1/65

([10]) ظ: الشاعر العراقي الحديث ناقدا(أطروحة دكتوراه): 50.

As-shair Al Iraqi Alhadith Naqedan (PhD thesis))p 50

([11]) تحولات الشجرة دراسة في موسيقى الشعر الجديد وتحولاتها، د.محسن اطيمش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2006م: 62 .
Tahawalat-u-Shajrah Dirasa fi Museeqa Ash-Sheir Al Jadid wa Ttahawalatiha,Dr Muhsin Atimish,Dar Ashaoun As-Saqafiyaa Alammah,Baghdad,2006,Vol 1,p 62

([12]) ظ: التجديد في الأدب العربي، بدر شاكر السياب، ج الحرية ، ع908، 16 حزيران 1957م:3.
At Tajdid fil Adab Al Arbi,Badar Shakir As Siyaab,p 3

([13]) ظ: تطور الشعر العربي الحديث في العراق إتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج: 335 .
Tatawar al shier al Arabi fil Iraq Itajahaat-u-ruyaa wa jamaliyaat-u-naseej,p335

([14]) ظ: الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي، د.محمد حسين الأعرجي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة، 1978م: 44 .
As-Siraa baina Alqadeem wal Jadeed fi Ash- Sheir Al Arbi,Dr Muhammad Hussain Al-Aaraji, Munshuraat Wazart-u-Saqafah wal Eylaam,Dar-rul-Huriyaa,1978,p 44

([15]) ظ: شعراء الغري: 10: 147، وظ: م شعر، س10، ع38، 1968م: 60 .
Shuraa Al-Ghari,1968,p60

([16]) ظ: الجواهري ذكريات أيامي، فاروق البقيلي، دار الفارابي، بيروت، مكتبة الثورة العربية، بغداد، 1974م: 82-84 .
Al-Jawahari Zikriyaat Ayami,Farooq Al Baqili,Dar Alfarabi,Beruit, Maktaba As-Suraa Al Arabiyaa,Baghdad,1974,p 82-84

([17]) الشاعر الكبير الجواهري يتحدّثُ للدكتور الطاهر، م الكلمة، ع2، س4، بغداد، آذار، 1972م: 35 .

([18]) م.ن: 35

Ibid:35

([19]) ظ: م.ن: 35 - 36، وقول الجواهري يقاربُ قول سقراط في الشأن نفسه: " قد سألتُ كُلاً منهم عمَّا عناه بشعره، فلم يكن منهم من استطاع الإجابة على [كذا] سؤالي هذا، ولقد جمعني وإيَّاهم مجلسٌ ضمَّ كثيرًا من المعجبين بهم وبأشعارهم، فلم يكن بين الحضور رجلٌ إلا وهو أقدرُ على التحدُّث عن تلك الأشعار من الشعراء أنفسهم". قواعد النقد الأدبي، لاسل آبر كرومبي، تر: محمد عوض محمد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986م: 1 .

Qawad-un-Anaqd Al Adabi, Asaal Abar Krombi, Dar Ashaoun As-Saqafiyaa Alammah,Baghdad,1986, Vol 2,p1

([20]) م الحيرة، النجف، 1927م، مج1/ج2: 57 .

([21]) الديوان: 1/ 73 .

Ad-dewaan 1/73

([22]) م.ن: 1/ 505 .

Ibid:1/505

([23]) ظ: م.ن: 2 / 253 .

Ibid:2/253

([24]) ظ: م.ن: 1 / 439 .

Ibid:1/439

([25]) الجواهري دراسة ووثائق، د.محمد حسين الأعرجي، دار المدى للثقافة والنشر، سورية، ط1، 2002م: 379.

Al-Jawahri, Dirasa wa Wasaeiq, Dr Muhammad Hussain Al-Aaraji,Dar Al Mudaa lisqafah wan-Nashar,Suriya,2002,Vol 1,p 379

([26]) ظ: مقابلة أدبية مع محمد مهدي الجواهري أجرتها حميدة نعنع، م الآداب، ع12، ديسمبر1978م :6. وفيها قوله: ((لقد كتبت شعراً غزلياً في منتهى الروعة والجرأة دون أن أعرف المرأة...كانوا يظنون أنني أكتب ما أكتبه عن تجارب حقيقية. لكن هذا غير صحيح)). وظ: ذكرياتي: 2/ 50 .

([27]) الديوان: 1/ 304.

Ad-dewaan1/304 1/304

([28]) م.ن: 4/ 304 .
Ibid:4/304
([29]) م.ن: 3/ 75 .
Ibid:3
([30]) ظ: الشعرية العربية، أدونيس، دار الآداب، بيروت، ط2، 1989م:73 .
Ash-Sheiriyaa Al Arabiyah, Adunees,Dar-ul-Adaab,1989,Beruit,p 73
([31]) ظ: خصائص الأسلوب في شعر الجواهري، فارس عزيز مسلم، (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية، جامعة بابل، 2008م: 77 .
Khasaes-ul- Asloob fi Sheir-il-Jawahri,Faris Aziz Muslim(PHD Thesis) Kuliyaat-ul-Arbiya,University of Babylon,2008,p 77
([32]) أقاصيص شعريَّة وجدانيَّة، وردزورث، تر: عبد الحكيم حسَّان، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1971م:434.
Aqasis sheiriya Wajdaniya, Wardazwars, Dar Al Marif,Alqahira,1971,p 434
([33]) سيرة أدبيَّة ، كولريدج، تر: عبد الحكيم حسَّان، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1971م: 252 .
Seerah Adbiyaa,Kolridaj, Dar Al Marif,Alqahira,1971,p 252
([34]) الديوان: 5 / 89 .
Ad-dewaan,5/89

([35]) ظ: المذاهب النقدية دراسة وتطبيق، د.عمر الطالب، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1993م: 17 .
Almazahib An-Naqdiyaah,Dirasa wa Tatbeeq,Umar At-Talib,Dar Alkutab,1993,Almusal,p 17
([36]) ظ: الأسس الجمالية في النقد العربي، د.عز الدين إسماعيل، دار الشؤون الثقافيَّة العامة، بغداد، ط3، 1986م: 358.
Al-Usasul Jamaliyaah fin Naqdi Al Arabi, Dr,Iza Din Ismail, Dar Ashaoun As-Saqafiyaa Alammah,Baghdad,1986,p 358

([37]) ظ: دراسات بلاغية ونقدية, أحمد مطلوب, دار الرشيد, بغداد،1980م: 347 .
Dirasat Balaghiya wa Naqdiya, Ahmad Matloob, Dar Ar Rasheed,Badgdad,1980,p 347

([38]) الديوان: 1/ 196.

Ad- dewan 1/196

([39]) م.ن: 1/ 226 .
Ibid:1/226
([40]) ظ: التنظير النقدي والممارسة الإبداعيَّة، د. محمد عبد الحي ، منشأة المعارف بالإسكندريَّة، 2001م: 153 .
At tanzeer An Naqdi wal Mumarsa Al Ibdaeiyaa, Muhammad Abdul Hayi, Manshaat-ul-Marif, Askandariya,2001,p 153

([41]) الديوان: 2 / 120 .
Ad- dewan 2/120

([42]) التنظير النقدي والممارسة الإبداعيَّة: 154 .
At tanzeer An Naqdi wal Mumarsa Al Ibdaeiyaa,p 154

([43]) الديوان: 3 / 270.
Ad- dewan 3/270

([44]) تطور الشعر العربي الحديث في العراق إتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج: 364 نقلاً عن: Walsh , the use Imagination , London , 1959.P.14,Wihlam , م.
Tatawar al shier al Arabi fil Iraq Itajahaat-u-ruyaa wa jamaliyaat-u-naseej,p 364
([45]) الديوان: 4 / 218 .
Ad-dewan 4/218

([46]) ظ: أصول النقد الأدبي، د. أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1964م: 242 .

([47]) الشاعر الكبير الجواهري يتحدّثُ للدكتور الطاهر، م الكلمة، ع2، س4، بغداد، آذار، 1972م: 46 .

([48]) الديوان: 2/ 325 .
Ad- dewan 2/325

([49]) الديوان (دار الرشيد للطباعة 1977م) : 6 / 163.
Ad- dewan,Dar Ar Rasheed,1977, 6/163

([50]) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الحرية، بغداد، الجمهورية العراقية، 1980م:232.
Jaras-ul-alfaaz wa Dilaltuha fil Bahsi Balaghi Wan Naqdi Endal-ul-Arab,Dr Mahir Mahdi Hilal,Dar ul Huriyaa,Baghdad,1980,p 232

([51]) في مفهوم الإيقاع، محمد الهادي الطرابلسي ، حوليات الجامعة التونسيَّة ، ع32 ، 1991م : 21.
Fi Mafoomil Idaa,Muhammad AlHadi,At Tarabalasi,Hawouliyaat university of Tunis,1991,p 21

([52]) الجواهري سمفونية الرحيل: 262.

([53]) م.ن: 262 .
Ibid:262

([54]) ظ: الديوان: 5/ 362- 363 قصيدة (يا ابن الفراتين) .
Ad- dewan 5/362-363

[55]) وردت كلمة (القوافي) في ديوان الجواهري (طبعة وزارة الإعلام) في (خمسين بيت)، ومفردة (قافية) في (تسعة أبيات)، والمتأمل يجد أنَّ الشاعر كان يكني بها عن الشعر .

([56]) ظ: الجواهري رحلة الشعر والحياة، سليمان سليم البواب، دمشق، 2004م: 105 .
Al-Jawhri Rihlat-u-Sheir wal Hayaat,Salman Saleem Albawaab,Damishq,2004,p 105

([57]) الجواهري شاعر العربية: 49 .
Al-Jawhri Shaeir-ul-Al Arabiya,p 49

([58]) الديوان (دار الرشيد للنشر1980م): 7/ 165.نقلاً عن: ج مرآة العراق، س1، ع3، 1كانون الأول 1924م: 6 .
Ad- dewan,Dar Ar Rasheed,1980, 7/165

([59]) الشاعر الكبير الجواهري يتحدث عن الأدب المكشوف والشعر الحر وشؤون أخرى، ج الحرية، ع 1026، 1957م: 3. وقول الجواهري الآنف الذكر إنما يُذكرنا بقول (شوبنهاور): "يُشترط أن تتوثَّق العلاقة بين الفكرة والقافية، وأن ترتبطا باطنياً، أما إذا بحثنا عن الأفكار من أجل القوافي فإنَّه ينشأ عن ذلك شعر أجوف الرنين...أما إذا تتابعت الأفكار في تسلسل طبيعي مسترسل على إيقاع الكلمات وتناغم القوافي فإنَّه يكون للغة الشعر تأثير السحر...وهذا من شأنه أن يعطي قدرة فائقة على التأثير في الخيال". في الشعر الأوربي المعاصر، د.عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1980م: 138 .

Fi Sheir Al Urabbi Al Maasar, Dr Abdur Rehman Badvi, Al Muasasa Al Arabiya,Beruit,1980, Vol 2, p 138

([60]) مع رجال الفكر، م الفكر، بغداد، ع5، تشرين الثاني، 1958م: 67 .
Maa-r- Rijaalil Fikar,1958,p 67

([61]) الديوان: 1/ 304 .
Ad- dewan 1/304